التأثير في القرآن الكريم
حقيقته ومصدره

د/ يحيى محمد عامر راشد *

المقـــدمة:

لقد ظلت معرفة سر تأثير القرآن ومصدره مطمعاً ومطمحاً لكل المشتغلين بالقرآن الكريم تعلماً وتعليماً، بحثاً وتأليفاً، يطمعون في معرفته، ويطمحون إلى الوصول إليه والوقوف عليه. كما كان الدافع الأساسي للكتابة في مزايا القرآن، ووجوه إعجازه المختلفة.

هذا التأثير الذي كانوا يحسون به، ويلمسون أثره، ويشاهدون تأثيره في صورٍ متعددةٍ، ولكن لا يستطيعون تفسيره، ولا يعرفون مصدره، ولا يعلمون حقيقته، ولا يدركون سره، فراحوا يجتهدون في تفسيره، ومعرفة مصدره وسره، كلٌ بما يرى أنه هو مصدر ذلك التأثير، وسره الذي يكمن فيه.

وعند النظر فيها نجدها في جملتها تصب في فصاحة القرآن وبلاغته وطرق تعبيره وجوانب إعجازه: اللغوية والتشريعية والعلمية والغيبية وغيرها. وهي كما ترى جوانب تتعلق بنظم القرآن، لا علاقة لها بتأثيره، وإن كان التأثير هو الدافع للجميع في الخوض في ذلك كله بهدف تفسيره. إن الاستعارة، وبراعة الاستهلال، وروعة التعبير، والتصوير الفني، والإعجاز اللغوي والعلمي والتشريعي، والنبوءات الغيبية جوانب إعجاز وجمالٍ وسحرٍ وعظمةٍ وتحدٍ قائمةٍ إلى قيام الساعة، ولكنها ليست هي التي تبكي قارئ القرآن أو المستمع إليه. وليست

* أستاذ مساعد كلية الاداب – جامعة إب

هي التي تتصدع لها الجبال، وتتغير بها الأحوال من الكفر إلى الإيمان . وليست هذه الجوانب هي التي تجعل المسلم الباكستاني أو الهندي أو الأوربي أو الأفريقي يبكي وينتحب بكاءً عند سماعه القرآن، وهو لا يفهم كلمةً واحدةً منه ناهيك أن يعرف جوانب فصاحته وبلاغته ووجوه إعجازه . ليست هذه، ولا تلك، ولكنه شيءٌ أخر هو ما سنقف عليه في هذا البحث إنشاء الله تعالى.

المبحث الأول
تأثير القرآن

التأثير صفة ملازمة للقران :ـ

فتأثير القرآن الكريم في نفوس وقلوب وعقول وجوارح مستمعيه وقارئيه صفةٌ من صفاته ، وخاصيةٌ من خصائصه التي أودعها الله فيه الملازمة له ، والتي لا تنفك عنه بحال من الأحوال قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾(١). وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾(٣).

أي لكان القرآن .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤)

وقال ﷺ : " إن القرآن نزل بحزنٍ فإذا قرأتموه فتحازنوا "(٥).

وقال ﷺ : " إقرأوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا " (٦).

وقال صالح المري : "قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال: " يا صالح هذه القراءة فأين البكاء ؟ " (٧).

فهذه الآيات والاثار في جملتها تبين أن القرآن مؤثر بطبيعته التي أنزله الله بها ، وأن تأثيره ذاتي .

تأثير القرآن عامٌّ وكونيٌّ:ـ

إن تـأثير القـرآن الكـريم – بالإضـافة إلى أنـه تـأثير ذاتـيٌّ ، وصـفةٌ ملازمـةٌ لـه لا يتحقـق إلا بالاسـتماع لـه والإنصـات إليـه بتجـردٍ روحـيٍّ وعقلـيٍّ وذهـنيٍّ – أيضـاً هـو تـأثيرٌ عـامّ ، يـؤثر علـى المسـلم والكـافر والجـن والإنس والملائكة والجماد والحيوان .

تأثيره على الإنس :ـ

فمـا أن يبعـث الرسـول ﷺ ، وينـزل القـرآن ، ويأخـذ الرسـول ﷺ في الـدعوة إليـه ، وقراءتـه علـى قومـه، ومـا أن يلامـس القـرآن مسـامعهم ، ويقـرع آذانهـم ، حتـى يصـل في الوقـت ذاتـه إلى القلـوب والنفـوس والعقـول ، ويسـتحوذ عليهـا جميعهـا ، و تهتـز لـه جميعهـا اهتـزاز الأرض الهامـدة بعـد نـزول الغيـث الهنيء المـريء ويستأسـرها فتقـع تحـت أسـره ، سـواء مـن وفقـه الله بعـد ذلـك فأسـلم وامـن ، ومـن غلبـت عليـه شـقاوته فكـابر وعانـد وأدبـر وكفـر ، مـع إقـراره بتـأثير القـرآن وتـأثره بـه ، التـأثير الـذي أحـس بـه في أعماقـه ، فـأعرب عنـه بصـراحة وتلقائيـة وعفويـة ، ولم يمنعـه بقـاؤه على الكفر من الاعتراف بذلك التأثير والإقرار به .

- فمـن الـذين اسـتمعوا إلى القـرآن وتـأثروا بـه ، وكـان سـبباً في إسـلامهم علـى سـبيل المثـال لا الحصـر :(عمـر بـن الخطـاب) وقـد وردت في قصـة إسـلامه عـددٌ مـن الروايـات منهـا: روايـة لعطـاء ومجاهـد ، وروايـة لا بـن إسـحاق وهنـاك روآيـات أخـرى ، وكلـها تجمـع علـى أنـه سمع أو قرأ شيئاً من القرآن فكان سبباً في إسلامه .
- وممـن اسـتمعوا إلى القـرآن وتـأثروا بـه وبقـوا علـى كفـرهم : الوليـد ابـن المغـيرة . وسـوف نعـرض قصـة تولّيـه مـع قصـة إسـلام عمـر في مبحث (أدلة هذه الحقيقة) إنشاء الله تعالى .

تأثيره على الجن :ـ

وكمـا أثَّـر القـرآن علـى الإنـس ، أثَّـر كـذلك علـى الجـن ، حـين أقبلـت عليـه بطواعيـة ، واسـتمعت وأنصـتت إليـه برغبـة ،قـال تعـالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ

مُنْذِرِينَ = قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ = يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٨]، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً = يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً = وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً ﴾[٩].

تأثيره على الجماد :

لم يقف القرآن الكريم في تأثيره عند حدود الإنس والجن باعتبارهما من المكلفين ، بل تجاوزهما إلى ما سواهما من المخلوقات غير المكلفة كالجماد ، والقرآن يعرض علينا صوراً عدة من تأثيره على الجمادات وتأثر الجمادات به ، ومن أبرز هذه الصور ما ورد في قوله تعالى: ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾[١٠].

فالخشوع والتصدع من خشية الله : أثران عظيمان من اثار القرآن على الجبل وتأثر الجبل بالقرآن . ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ ولو أن قرانا سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتى ﴾ [١١] (أي لوكان في الكتب الماضية كتابٌ تسيَّر به الجبال عن أماكنها ، أو تقطَّع به الأرض وتنشق ، أو تكلَّم به الموتى في قبورها ، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره) [١٢].

ويرد في نفس المعنى قوله تعالى : ﴿ وإنَّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإنَّ منها لما يشَّقق فيخرج منه الماء وإنَّ منها لما يهبط من خشية الله ﴾ [١٣]، وكذلك ما ثبت في الحديث المتواتر" أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرةٍ أو نخلةٍ فقالت امرأةٌ من الأنصارأو رجلٌ : يارسول الله ألا نجعل لك منبراً قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبيّ، ثم نزل النبي ﷺ، فضمه إليه تئن أنين الصبيّ الذي يسكَّن قال : كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها " [١٤].

تأثيره على الحيوان :

أما تأثيره على الحيوان ، فقد قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا عبدالرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة(رضي الله عنها) قالت : " إنْ كان ليوحَى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته ، فتضرب بجرانها " . وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثورٍ عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها، فما تستطيع أن تحرَّك حتى يُسرَّى عنه . وهذا مرسل . والجران هو باطن العنق " [١٥].

مظاهر تأثير القرآن :ـ

ومن خلال استعراض موضوع وعملية التأثير القرآنية يتبين أن تأثيره لا يأخذ صورةً واحدةً أو مظهراً واحداً ، بل تتعدد صوره وتتنوع مظاهره . ومن هذه المظاهر :

الهداية والإيمان .

ويتمثل ذلك في جملة الذين أسلموا بعد سماعهم أو قراءتهم للقران الكريم من الإنس والجن على حدٍ سواء .

والآيات الدالة على هذا الأثر الذي يحدثه القرآن ، وهذا المظهر الذي يظهر فيه كثيرة ، كقوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للَّتي هي أقوم﴾ [١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ الم~ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين ﴾ [١٧]، وقوله تعالى : ﴿ الر كتابٌ أنزلناه لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [١٨].

البكاء :

فمن الآيات التي يشير فيها القرآن إلى هذا المظهر من مظاهر تأثير القرآن ، وهذا الأثر من اثاره ، قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم وممن حملنا مع نوحٍ ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾[١٩]، وقوله تعالى : ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرُّون للأذقان سجداً . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ [٢٠]،وقوله تعالى: ﴿ولتجدنَّ أقربهم مودةً للذين امنوا الذين قالوا إنا نصارى

ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (٢١). أما مواقف البكاء المروية عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء والاولياء والاتقياء ، والصالحين ، فحدِّث ولا حرج ، فكتب السيَر والتراجم والمناقب وأخبار الأولياء والصالحين مليئةٌ بقصص البكائين والمتأثرين بالقرآن ، وتتبعها يطول.

الخوف و الوجل :

قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (٢٢).

وقال تعالى : ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (٢٣).

وقال تعالى: ﴿ الله نزَّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانيَ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾(٢٤).

الشفاء بنوعيه :

شفاء القلوب والنفوس .

وإليه يشير الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ يا أيها النّاس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمين ﴾ (٢٥).

"المراد قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد، والمنافع ، ... مبينٌ للمعارف الحقة المزيلة لأدواء الشكوك ، وسوء مزاج الاعتقاد ، وهادٍ إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد إلى الاستدلال بالدلائل الافافية والأَنفُسِيَّة ... فالقرآن شافٍ لما في الصدور من الأدواء المفضية إلى الهلاك ، كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها ... وَاسْتُدِلَّ - كما قال الجلال السيوطي – بالاية على أنّ القرآن يشفي من الأمراض البدنية كما يشفي من الأمراض القلبية ﴾ (٢٦).

وكذلك قوله تعالى : ﴿ ولو جعلناه قراناً أعجمياً لقالوا لولا فصِّلت آياته أأعجميٌ وعربيٌ قل هو للذيسن امنوا هدىً وشفاء ﴾ (٢٧).

شفاء الأبدان والأجساد :

وإليه يشير المولى سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ﴾ (٢٨). قال الألوسي رحمه الله تعالى في توجيه التبعيض في قوله : ﴿ وننزل من القرآن ﴾ : " إنه باعتبار الشفاء الجسمانيّ ، وهو من خواصٍ بعضٍ دون بعضٍ ، ومن البعض الأول الفاتحةٌ وفيها أثارٌ مشهورة " (٢٩).

المبحث الثاني
كيف فهم تأثير القرآن ؟

لقد عرف القرآن بتأثيره على مستمعيه منذ لحظة نزوله الأولى ، فهيمن على العقول ، وسيطر على القلوب واستحوذ على المشاعر ، وبهر الجميع من الإنس والجن ، وأحدث تأثيراً عظيماً في نفوسهم ، عجزت العقول عن فهم ماهيته ، وإدراك كنهه ، ومعرفة سره ، ولهذا تباينت الاراء في معرفته وتفسيره وجهته ومصدره منذ اللحظة الأولى لنزوله والاستماع إليه .

- فمنهم من اكتفى بالتعجب والانبهار مع ذكر بعض اثاره التي تركها فيه ، وأحسَّ بها عقب استماعه له ، ومن هؤلاء : الجن ، استمعوا للقران وتأثروا به ، ولكنهم لم يستطيعوا تفسير هذا التأثر الذي أحسوا به عند سماعهم للقران ، فما كان منهم إلا أن قالوا متعجبين مما سمعوه وأحسوا به عقب سماعهم : (إنا سمعنا قراناً عجباً يهدي إلى الرشد فامنا به) (٣٠) (يهيدي إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيمٍ) (٣١).

- ومنهم من عزاه إلى أمر خارق للعادة ، وخارج عن الإرادة ، مكتفياً بوصفه ببعض خصائصه المتعلقة بالذوق والجمال ومن هؤلاء : الوليد بن المغيرة ، فإنه لما عجز عن فهم طبيعة التاثير الذي أحدثه القرآن في نفسه ، وأحس به حين استمع إليه وعجز عن تفسيره وإدراك سره

ومعرفة مصدره ، ما كان منه – وهروباً من الإقرار بالعجز أو الاتصاف به – إلا أن نسبه إلى أمر قهريٍ وغير إراديٍ ، فنسبه إلى السحر فقال : (إن هو إلا سحر يؤثر) [٣٢]، بعد أن قال عنه عقب استماعه إليه متأثراً به مادحاً له : " إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه ، وإنه يحطِّم ما تحته " [٣٣].

- ومنهم من عده وجهاً من وجوه الإعجاز المختلفة ، وهؤلاء - تقريباً - هم كل من كتب في إعجاز القرآن وخصائصه ، فقد كتبوا بدافع الإحساس بتأثير القرآن وقصد التعرف على هذا التأثير ومنشئه وجهته التي يكمن فيها ، واعتقاداً أنها في هذا الوجه ، أو ذلك الجانب من جوانب ووجوه الإعجاز الذي وقفوا عليه وهدوا إليه .

- ففسره بعضهم بالإعجاز النفسي . يقول الخطابي : "وفي إعجاز القرآن وجهٌ أخر ذهبت عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذُّ من أحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً ، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللَّذة والحلاوة في حالٍ ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعةً ، قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والقلق ، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها " [٣٤].

- وبعضهم فسره بالإعجاز الروحيِّ . - ولا فرق بينهما فيما يبدو – مثل محمد فريد وجدي . الذي جعله الوجهَ الوحيدَ لإعجاز القرآن وردَّ ما عداه من وجوه الإعجاز الأخرى التي قال بها غيره ، حيث يقول : " حصر المتكلمون في إعجاز القرآن كلَّ عنايتهم في بيان إعجاز القرآن من بلاغة فكتبوا في ذلك فصولاً ضافية الذيول ، وبعضهم خصها بالتأليف ، وأننا وإن كنا نعتقد أن القرآن قد بلغ الغاية من هذه الوِجهة إلا أننا نرى أنها ليست هي الوجهة الوحيدة لإعجازه ، بل ولا هي أكثر جهات إعجازه

سلطاناً على النفس ، فإن للبلاغة سلطاناً محدوداً على النفس لا يتعدى حدَّ الإعجاب بالكلام والإقبال عليه ثم يأخذ هذا الإعجاب والإقبال يضعف شيئاً فشيئاً بتكرار سماعه ، وليس هذا شأن القرآن فإنه قد ثبت أن تكرار تلاوته يزيده تأثيراً ، فوجب على الناظر في ذلك أن يبحث عن وجه إعجازه في مجالٍ اخر يكفي لتعليل ذلك السلطان البعيد المدى الذي للقران على قلوب الملحدين... ثم يقول : لعلةٍ في نظرنا لا تحتاج إلى كثيرِ تأملٍ ، وهي أن القرآن روحٌ من أمر الله ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ [٣٥]، فهو يؤثر بهذا الاعتبار تأثير الروح في الأجساد ، فيحركها ويتسلط على أهوائها ، أما تأثير الكلام في الشعور فلا يتعدى سلطانه حدَّ إطرابها والحصول على إعجابها ، ثم يقول : إن جهة إعجاز الكتاب الإلهي المقدس هي تلك الروحانية العالية التي قلبت شكل العالم " [٣٦].

- ومنهم من فسره بالإعجاز البياني . واعتبروا تأثر الوليد بن المغيرة الذي عبر عنه بقوله : " إن له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أ سفله لمغدق ،وان أعلاه لمثمر ،وانه يعلو ،ولايعلىعليه ، وإنه يحطم ما تحته " [٣٧] ، وبقوله : " إن هو إلا سحر يؤثر " ، وكذلك تأثر عتبة بن ربيعة الذي عبر عنه بقوله : " والله لقد سمعت قولاً ، ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر " [٣٨].

اعتبروا تأثرهما إنما كان بسبب بلاغة القرآن وفصاحته وإنبهاراً بهما . يقول الشيخ عكرمه صبري : "إن الإعجاز البيانيَّ الذي كان واضحاً في آيات القرآن منذ اللحظات الأولى لنزوله ، واستحواذه على عقول العرب وتفكيرهم وقلوبهم وعواطفهم وأحاسيسهم ومشاعرهم ، وذلك قبل أن يشير إلى العلوم الكونية في خلق الكون والإنسان والحياة ، وقبل أن يكتمل التشريع ، وقبل أن يخبر القرآن عن الحوادث المستقبلية .

لقد كان التأثير واضحاً في العرب منذ البداية ، ممن امن ، وممن لم يؤمن . فالصحابي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) انشرح صدره

للإيمان فقال : " ما أجمل هذا الكلام وأكرمه ! " والوليد ابن المغيرة أعرض عن ذكر الله ، واستمر في الكفر والعناد ، ومع ذلك قال في القرآن :" إنْ هذا إلا سحر يؤثر"[٣٩].

- ومنهم من رده إلى طبيعة نظم القرآن وتأليفه . فاعتبروا هذا التأثير الحاصل للوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وغيرهما ، مرده وجهته نظم القرآن – وجه الإعجاز الحقيقي في القرآن – ومن هؤلاء وعلى رأسهم : الإمام عبد القاهر الجرجاني [٤٠]

- ومنهم من أرجعه إلى الجمال الفني . كسيد قطب رحمه الله ، والدليل على ذلك أننا نجده ، وهو يمهد للإعلان عن هذه الحقيقة - التصوير الفني- على أنها هي جهة الإعجاز التي أثرت على قارئي القرآن ومستمعيه أمثال: عمر بن الخطاب والوليد بن المغيرة ، وليس شيئاً اخر مما قاله الأقدمون عن وجوه الإعجاز المختلفة ، وإن كانت وجوه إعجاز حقيقيةً للقران الكريم .

نجده يتكلم عن تأثير القرآن في مستمعيه وقارئيه ، فنجده يقول مثلاً : " ولعل من تمام القول .. أن نثبت بعض الصور التي وردت في القرآن لتأثيره في نفوس بعض الذين أوتوا العلم من قبله وبعض الذين صفت قلوبهم إليه .

جاء في صدد الحديث عن اليهود والنصارى ﴿ لتجدن أشد الناس عداوةً للذين امنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودةً للذين امنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا أمنا فأكتبنا مع الشاهدين ﴾ [٤١].

فتلك صورة من صور التأثر الوجداني لسماع القرآن . وإن أعينهم لتفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، وإن للطريقة التي يعرض بها هذا الحق لأثراً لا شك فيه ، يفصح عنه ما ورد في موضع اخر : ﴿ إن الذين أوتو العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً .

ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾ [٤٢]. فكلام سيد قطب هذا – كما ترى – كلام عن تأثير القران أكثر منه عن إعجازه ·

المبحث الثالث
الوحدة الروحية للقران والإنسان

روحية القرآن:

فمن الآيات التي يذكر الله فيها روحية القرآن ، وأنها من عنده سبحانه وتعالى قوله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ ﴾ [٤٣].

وقوله تعالى : ﴿ يُلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ [٤٤].

وقوله تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾[٤٥].

فهذه الآيات الثلاث في جملتها تدل على أمرين :

الأول : أن القرآن روح .

الثاني : أن هذه الروح من عند الله .

وهذا ما يؤكده المفسرون في كتبهم عند تفسير هذه الآيات ، فيذكرون أن المقصود بالروح : الوحي ، كما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس ، ويدخل في ذلك القرآن ، وروي عن الضحاك ، والربيع بن أنس الاقتصارٌ عليه [٤٦]. " وسمي الوحي روحاً ؛ لأن الناس يحيون به من موت الكفر ، كما تحيا الأبدان بالأرواح " [٤٧].

ويرى عبد الكريم الخطيب أن جميع وجوِ إعجاز القرآن لا يبدو أيٌّ وجهٍ منها إلا من خلال روحٍ تسري فيه ، وتترقرق في محيًّاه ، فالقرآن كله روح ، وليست هذه الألفاظ والنظم المشعة إلا تجليات لتلك الروح ، وإلا مطالع تطلع منها ، ومنازل تنزل فيها ، فالقرآن الكريم هو كلام الله

سبحانه ، نفخ فيه من روحه ، فكان أمراً من عنده وروحاً من روحه ؛ ولهذا سمي روحاً وأمراً من أمر الله . والذي ينبغي أن نقف عليه هو ما يشعٌّ من كلمات القرآن من جلال ونور ينبعثان من هذا الروح الذي هو روح الله تبارك وتعالى ، وعلى المسلم وهو يقرأ القرآن أن يستشعر عظمة الله ، وأنه بين يدي روحٍ من روح الله ، وأن يفتح صدره لهذا الروح الساري في كلماته ، وعند ذلك فإنه لا يسمع كلاماً مجرداً ، وإنما يسمع كلام الله ، ويشهد جلال الله سبحانه وعظمته " (٤٨).

ويشير سيد قطب إلى هذه الروحية بقوله : " إن لهذا القرآن لروحاً ، وإن له لصفات الحيِّ الذي يعاطفك وتعاطفه ، حيث تفتح له قلبك ، وتُصغي له روحك ، وإنك لتشتاق منه إلى ملامحَ وسماتٍ ، كما تشتاق إلى ملامح الصديق وسماته ، حيث تصاحبه فترة ، وتأنس به ، وتستروح ظلاله .. إن في القرآن سراً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءاً قبل أن يبحث عن موضوع الإعجاز فيها ، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن ، ويشعر أن هناك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هناك عنصراً ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن ، يدركه بعض الناس واضحاً ، ويدركه بعض الناس غامضاً ، ولكنه على كل حال موجود ، وهذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديده أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التي تشعّها ؟ أو الإيقاع القرآني الخاص المتميز عن إيقاع سائر القول المَصُوْغِ من اللغة ؟ أهي هذه العناصر مجتمعة كلها ؟ أم أنها هي وشيء اخر وراءها غير محدد ؟ ذلك سر مودع في كل نص قراني يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداءاً ، ثم تأتي وراءه الأسرار المُدرَكةُ بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله ، وهذا كله مما يُسبغ على القرآن سمة الإعجاز المطلق في جميع العصور ، وهي مسألة لا يماري فيها إنسان يحترم حسه ونفسه ، ويحترم الحقيقة " (٤٩).

ـ روحية الإنسان :ـ

أما روحية الإنسان ، فمن الآيات التي يذكر الله سبحانه وتعالى فيها روحية الإنسان وأنها من عنده سبحانه وتعالى قوله تعالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (٥٠). وقوله تعالى ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (٥١). وقوله تعالى ﴿ ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾(٥٢).

فهذه الآيات الثلاث تدل أيضاً على أمرين :

الأول : أنَّ الإنسان روحٌ في الأصل .

الثاني : أنَّ هذه الروح من عند الله .

يقول سيد قطب رحمه الله : " فهي روح الله تنقل هذا التكوين العضوي الوضيع إلى ذلك الأفق الإنسانيّ الكريم منذ بدء التكوين ، وتجعله ذلك الخلق المتفرد الذي تُوكل إليه الخلافة في الأرض بحكم تفرد خصائصه منذ بدء التكوين ... هذه النفخة التي تصله بالملأ الأعلى ، وتجعله أهلاً للاتصال بالله وللتلقي عنه ولتجاوز النطاق الماديّ الذي تتعامل فيه العضلات والحواس إلى النطاق التجريديّ الذي تتعامل فيه القلوب والعقول . والتي تمنحه ذلك السر الخفي الذي يَسْرُبُ به وراء الزمان والمكان ووراء طاقة العضلات والحواس إلى ألوان من المدركات وألوان من التصورات غير محدودة في بعض الأحيان"(٥٣).

ويقول الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور : " وإضافة الروح إلى ضمير الجلالة ، للتنويه بذلك السر العجيب الذي لا يعلم تكوينه إلا هو . فالإضافة تفيد بأنه من أشد المخلوقات اختصاصاً بالله تعالى " (٥٤).

ويقول الدكتور عزت محمد حسن : " أما الروح فهي ربانيةٌ ينفخها الله في الجسد بطريقة يعلمها ، ولا دخل للإنسان في معرفة كيفيتها وكنهها ... إنها تحُلُّ بالجسد ،فتمتزج به ، فتكون الحياة ، وتسري فيه سريان الكهرباء في الأسلاك وكما تكون الإنارة ، تكون الحياة ، وكما تنطفئ الكهرباء ، تنطفئ الحياة . ومع أنها تسري في جسد الإنسان

فإنه يعجز عن تحديدها ومعرفة كنهها وعن معرفة حقيقة أمرها وعن معرفة كيف يتنفس ؟ وكيف يفكر ؟ وكيف يبصر ؟ وكيف يحس ؟ وهي السر الذي تجلّى به الله على الإنسان ، ومن أجله أسجد له ملائكته ، وفضله على كثير من خلقه ، وقبل هذا النفخ لم يكن شيئاً مذكوراً ، والله وحده هو الذي ينفخ هذه الروح إلى أجلٍ مسمىً في جسم الإنسان ثم تعرج إلى الله في الوقت المعلوم لله وحده ليعود الجسد إلى الطين الذي بدأ منه حتى تعود إليه هذه الروح يوم البعث والنشور " [٥٥].

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي متسائلاً عن سرِّ مكانة الإنسان العليا في العالم الماديّ : "وما الذي بوَّأ الإنسان هذه المكانة السامقة وفي الكون أجرامٌ أضخمٌ منه وأكبر ؟ إنه سر القبس الذي هو فيه من نور الله والنفخة التي فيه من روح الله ، تلك النفخة التي جعلته مستعداً للخلافة في الأرض" [٥٦].

ويقول الدكتور مفتاح محمد عبد العزيز عن هذه الروحية ، بعد استعراضه للآيات القرآنية التي ذكرت روحيه الإنسان : " هذه بعض الآيات القرآنية التي تدل على إثبات وجود الروح وحدوثها ، فهي من عند الله، وأنها من الأمور الإلهية التي لا يعرف حقيقتها على وجه التأكيد إلا الله تعالى ، وما يعرفه الإنسان عنها، هو أنها تَحُلٌّ في الجسد ، فتَدِبٌّ فيه الحركة والحياة والإرادة ، ويكون قادراً على القيام بالعمليات العقلية المختلفة ، كالإدراك والإحساس والتصور والتخيل .. إلخ ، حتى يستطيع الإنسان أن يكون على اتصاله بالله ، ويزداد إيمانه بخالقه ، وإدراكه بأمور الغيب .

ويمكن أن نستخلص من الآيات السابقة التي تتعلق بوجود الروح في الطبيعة البشرية ، بعض المعاني النفسية : أن الروح في الإنسان هي أساس وجوهر الوعي والإدراك والإحساس والإرادة .

السموٌّ والرقي بالإنسان إلى مستويات الفضيلة العليا .

صفاء الروح يساعد الفرد على ضبط نفسه من النزوات والشهوات والتخلص من العوائق ورفض المحرمات .

بصاء الروح تتحقق القيم الخلقية والصحة البدنية والنفسية ؛ لأن القيم الخلقية الناتجة عن الدين والروح والإيمان القوي الصادق ، هي أفضل الحوافز لتحقيق السلوك السويِّ والناضج ، وبذلك يكون وعي القلب وصفاؤه " [٥٧].

المبحث الرابع
مصدر تأثير القرآن

إذا كان هذا هو تأثير القرآن ، وهذه هي روحيته ، فأين يكمن سر هذا التأثير ومصدره؟

الروح هي مصدر تأثير القرآن :

يتبين من الحديث السابق عن تأثير القرآن وعن روحيته ، أن تأثير القرآن لا يكمن في فصاحته الاسرة أو بلاغته الساحرة ولا في حسن التصوير أو دقة التعبير ولا في نظمه المحكم ولاالتشريع الحكيم ولا في الأخبار الغيبية أو الإشارات العلمية ، وإنما في روحه الإلهية وأسرارها الربانية .

فروح القرآن : هي جهة تأثيره ومصدره وسر سلطانه على القلوب والعقول والنفوس .

يقول محمد فريد وجدي : " إن روح القرآن من أمر الله ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ [٥٨]. فهو يؤثر بهذا الاعتبار ، تأثير الروح في الأجساد ، فيحركها ويتسلط على أهوائها. أما تأثير الكلام في الشعور ، فلا يتعدى سلطانه حدَّ إطرابها والحصول على إعجابها ... إن جهة إعجاز الكتاب الإلهي المقدس هي تلك الروحانية العالية التي قلبت شكل العالم " [٥٩].

ويقول عبد القادر عطا ، بعد ذكره لتأثير القرآن على الجبل وعلى الوليد بن المغيرة : " تلك واحدة من دلائل عظمة القرآن هي : سلطانه الروحاني على القلوب ، وولايته المطلقة على مدارك الإنس والجن على السواء ، وجاذبيته المضيئة لقلوب المهتدين والجاحدين جميعاً " (٦٠).

ويرى عبد الكريم الخطيب أن جميع وجوه إعجاز القرآن لا يبدو أي وجه منها إلا من خلال روح تسري فيه ، وتترقرق في محياه ، فالقرآن كله روحٌ ، وليست هذه الألفاظ والنظم المشعة إلا تجليات لتلك الروح وإلا مطالع تطلع منها ومنازل تنزل فيها ﴾ (٦١).

ويقول سيد قطب : ﴿ إن لهذا القرآن لروحاً ، وإن له لصفات الحي الذي يعاطفك وتعاطفه ، حيث تفتح له قلبك ، وتصغي له روحك"(٦٢).

الروح هي مصدر تأثر الإنسان :ـ

كما يتبين لنا أيضاً من الحديث السابق عن روحية الإنسان وعن تأثره بالقرآن ، أن جهة التأثر في الإنسان هي روحه أيضاً .

فروح الإنسان ، هي جهة التأثر بالقرآن وموضعه ومحله ، يقول الإمام ابن قيم الجوزية عند قوله تعالى : ﴿ لمن كان له قلب ﴾ : " فهذا هو المحل القابل (أي للتأثر بالقرآن) ، والمراد به : القلب الحي الذي يعقل عن الله " (٦٣).

والروح أساس كل الملكات العقلية والإدراكية التي هي موضع التأثر والإستجابة في الإنسان يقول الدكتور مفتاح محمد عبد العزيز : " وما يعرفه الإنسان عنها (أي الروح) هو أنها تحل في الجسد، فتَدِبُّ فيه الحركة والحياة والإرادة ، ويكون قادراً على القيام بالعمليات العقلية المختلفة ، كالإدراك والإحساس والتصور والتخيل ... إلخ حتى يستطيع الإنسان أن يكون على اتصال بالله ، ويزداد إيمانه بخالقه وإدراكه بأمور الغيب .. إن الروح في الإنسان هي أساس وجوهر الوعي والإدراك والإحساس والإرادة " (٦٤).

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي : " والنفخة التي فيه من روح الله ، تلك النفخة التي جعلته مستعداً للخلافة في الأرض " (٦٥).

متى يتم التأثير والتأثر ؟

فإذا كانت جهة التأثير في القرآن هي روحه ، وجهة التأثر في الإنسان هي روحه أيضاً ، وكلتا الروحين من الله ، فهذا يعني : أن عملية التأثير والتأثر لا تتم إلا عند التقاء الروحين – روح القرآن وروح الإنسان- فعندما يلتقيان يتجاذبان ويتعاطفان ويحدث التأثير والتأثر ، حيث تتجذب روح الإنسان إلى روح القرآن ، فيسري فيها سريان الكهرباء في الأسلاك والنور في الظلمات ، فيبدد ظلمتها ، ويؤنس وحشتها ، فتستنير بعد ظلمة ، وتستأنس بعد وحشة ، وتهتدي بعد ضلال ، وتحيا بعد موت.

وهذا يعني أن تأثير القرآن لا يتحقق إلا عندما يكون الإنسان في حالة تجرد روحي من العوائق والعلائق ، سواء كان تجرد سموٍ أو استعدادٍ ، أي أن القرآن لا يؤثر في الإنسان إلا وهو في إحدى حالتين :

الأولى : حالة السمو الروحي . الناتجة عن الطاعة والمجاهدة والرياضة الروحية ، وهذا ينطبق على الطائعين من المؤمنين وعلى المخلوقات غير العاقلة المفطورة على الطاعة .

الثانية : حالة الاستعداد . سواء كان استعدادَ فطرةٍ أو استعدادَ إرادةٍ، وهذا ينطبق على العصاة والكافرين.

وفي كلتا الحالتين لابد أن يكون الإنسان في حالة تجردٍ روحيٍّ ليتحقق تأثير القرآن والتأثر به ، فمتى استمع الإنسان إلى القرآن أو قرأه وهو في إحدى هاتين الحالتين فإنه – بلا شك – سيتأثر به ، وسيؤثر القرآن فيه.

أدلّة هذه الحقيقة :ـ

ومما يدل على هذه الحقيقة – حقيقة أن روح القرآن هي عنصر التأثير في القرآن ومصدره وأن روح الإنسان هي عنصر التأثر فيه ومصدره ، وأن عملية التأثير والتأثر هذه لا تتم إلا بالتقاء الروحين– ما يلي:

أولاً : الأمثلة القرآنية لتأثير القرآن .

وهي كثيرة في القرآن الكريم منها :

- قوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيمٍ . يا قومنا أجيبوا داعي الله وامنوا به يغفرلكم من ذنوبكم ويجركم من عذابٍ أليم﴾[٦٦]. وقوله تعالى : ﴿ قل أوحي إليَّ أنه استمع نفرٌ من الجن فقالوا إنا سمعنا قراناً عجباً . يهدي إلى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحداً . وأنه تعالى جدُّ ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً ﴾[٦٧].
- وقوله تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ [٦٨]. في هذا المثال يبرز تأثير القرآن بروزاً صارخاً شاخصاً للعيان ، يدل على نفسه ، ويلفت النظر إليه ، ويستوقف القارئ عنده بقوة ، ليتأمل عظمة هذا التأثير ، وقوَّته الخارقة التي أخشعت الجبل وصدَّعته ، رغم عظم خلقه وضخامة حجمه .

وهنا تبطل كلُّ ادعاءاتِ تأثيرِ اللغة والفصاحة والبلاغة والنظم والتصوير ، وتسقط كلُّ مزاعمِ تأثيرِ التشريعِ والإشارات العلمية والأخبار الغيبية ، وتبقى حقيقة (تأثير روح القرآن الإلهية) ، وذلك لسببٍ واحدٍ هو : أن الجبل ليس من أهل اللسان ، فلا تعنيه اللغة ، وليس من أهل التكليف فلا يعنيه التشريع، وليس من أهل التعلم والفكر ، فلا تعنيه العلوم والأخبار .

- وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ [٦٩].

نلحظ في هذا المثال كما تلحظ في غيره أمرين :

الأول : تأثير القرآن ، ويتمثل في وجل القلوب وخوفها ، وزيادة الإيمان وكماله .

الثـاني : حالـة المتـأثر (وهـم المؤمنـون) ، وتتمثـل في إيمـانيتهم العالية التي وصفهم الله بها بقوله : ﴿ إنما المؤمنون﴾

وهذا يدل على أن المتأثر كان في حالة سموٍ روحيٍ تتمثل في حالته الإيمانية التي كان عليها عند استماعه للقران ، كما تدل على أن القرآن لا يؤثر إلا عندما يكون الإنسان في مثل هذه الحالة من التجرد الروحي ، سواء كان تجرد سموٍ ، أو تجرد استعدادٍ ، كما تدل أيضاً على أن المؤثر في الإنسان هي روح القرآن ، وليس شيئاً آخر؛ لأنها من جنس روح الإنسان ؛ لهذا فهي أقدر على التأثير فيه من غيرها لأن الشيء لا يتفاعل ولا يتأثر إلا بما هو من جنسه وعلى شاكلته ؛ ولهذا بعث الله الرسل من جنس المرسَل إليهم وبلغاتهم .

- وقوله تعالى : ﴿ ولتجدن أشد الناس عداوةً للذين امنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودةً للذين امنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (٧٠). ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرُّون للأذقان سجداً . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾ (٧١). في هذا المثال نشاهد صورة تأثير القرآن قدبرزت في ألوانٍ متعددةٍ كأنها تقدم لنا نموذجاً للمظهر العامِّ لتأثير القرآن الكريم ، فنراه يُفيض الدموع ، ويُحني الرؤوس، ويُبكي العيون ، ويُخشع القلوب ، ويُحرك المشاعر ، ويُطلق الألسن بتسبيح الله والضراعة له وإعلان الإيمان به . وهكذا بقية الأ مثلة التي وردت في القرآن .

ثانياً : **التداوي بالقرآن** : وفي التداوي بالقرآن أدمغُ حجةٍ وأقطعُ دليلٍ وأسطع برهانٍ على أن تأثير القرآن على النفوس ، وسيطرته على القلوب ، واستحواذه على العقول ، وسلطانه على المشاعر يرجع إلى روحه ، ويكمن فيه ، وليس إلى

أيٍّ شيء سواه . فالمعالج بالقرآن لا يعالج بفصاحته ، ولا بلاغته ، ولا بدقة تعبيره ، ولاحسن تصويره . والمريض لا يستشفي بشيءٍ من ذلك ، وإنما يعالج المعالج بروح القرآن ، ويستشفي المريض بروحه أيضاً، ولا علاقة للفصاحة والبلاغة والنظم وغيرها من قريبٍ ولا بعيدٍ بموضوع التداوي، ومعالجة الأمراض، فهي عملية روحية محضة . أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيدٍ الخدري (رضي الله عنه) قال : انطلق نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حيٍ من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم ، فلدغ سيد ذلك الحي ، فسعوا له بكل شيءٍ ، لا ينفعه شيءٌ ، فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عند بعضهم شيءٌ فأتوهم ، فقالوا : أيها الرهط إن سيد نا لدغ ، وسعينا له بكل شيء لا ينعفه ، فهل عند أحدكم من شيء ؟ فقال بعضم نعم والله إني لأرقي ، ولكن استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعْلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فكأنما نَشِطَ من عقال ، فانطلق يمشي ، وما به قلبة، فقال : فأوفَوْهُم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم : اقتسموا، فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا ، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له ذلك فقال : ﴿ وما يدريك أنها رُقْيَة ﴾ ثم قال : ﴿قد أصبتم ، اقتسموا ، واضربوا لي معكم سهماً ﴾ (٧٢). وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على التداوي بالقرآن من كثيرٍ من الأمراض : كوجع الحلق والصدر والصداع وغيرها من الأمراض .

ثالثاً : صورٌ من تأثير القرآن والمتأثرين به :

ومما يؤكد أن سر تأثير القرآن ومصدره يكمن في روحه ، وليس في شيء اخر سواه كثيرٌ من صور الذين قرأوه ، أو استمعوا إليه بتجردٍ روحيٍ ، وتأثروا به ، سواء كانوا كفاراً فهداهم الله فأسلموا ، أو غلبت عليهم شقوتهم فبقوا على كفرهم ، أم كانوا مسلمين ، وسواء كانوا من

العرب أم من العجم ، ممن يفهمون اللغة وأسرارها ، أو ممن يجهلونها، ولا يعرفون عنها شيئاً البتة .

فهذا الوليد بن المغيرة يأتي رسول الله ﷺ ، ويستقرئه القرآن , فيقرأ عليه الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾(٧٣).

فقال الوليد : أعدْ عليَّ قراءتك ، فأعاد النبي ﷺ ، فقال الوليد : " والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وما يقول هذا بشر " ثم قال لقومه : " والله ما فيكم رجلٌ أعلم بالأشعار مني ، ولا بأقوال الجن مني ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من ذلك ، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمرٌ أعلاه ، مغدقٌ أسفله ، وإنه ليعلو ، ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطِّم ما تحته " (٧٤).

وهذا يبين مدى تأثر الوليد بالقرآن الكريم ، ولكن ما الذي أثر فيه هذا التأثير ؟ أو أي شيء في القرآن أحدث فيه هذا التأثير الهائل ، حتى قال ما قال ، واهتزت له قريشٌ بأكملها ؟ هل هي بلاغة القرآن وفصاحته ؟ أم دقة تعبيره ، وحسن تصويره ؟ أم الأخبار الغيبية والعلوم الكونية ؟ " هل كان إحساس الوليد هذا نابعاً من عظم التشريع، أو جودة التشبيه ، أو نضرة الاستعارة ؟

لم يكن شيءٌ من هذا هو مصدر إعجاب العرب ممثلاً في الوليد " (٧٥).

ولا مصدر تأثيره فيهم ، ولكنه (روح القرآن) .

- وهذا عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) ورد في قصة إسلامه عددٌ من الروايات ، وقد سبق أن أوردنا رواية عطاء ومجاهد ، ورواية ابن إسحاق في مبحث (تأثيرٌ القرآن عامٌّ وكونيٌّ) وكل الروايات تُجمِع على أنه سمع أو قرأ شيئاً من القرآن ، فكان سبباً في إسلامه ، حيث يقول في رواية مجاهد وعطاء : " فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبي ، فبكيت ، ودخلني الإسلام " ، ويقول في رواية ابن إسحاق بعد أن أخذ

الصحيفة، وفيها سورة (طه) وقرأ صدراً منها : " ما أحسن هذا الكلام، وأكرمه " ثم ذهب إلى النبيِّ ﷺ فأعلن إسلامه " [٧٦].

إن الذي أحدث هذا التأثير الإنقلابيَّ الهائل الذي غير مجرى حياة عمر ، هي (روح القرآن) التي التقت بروح عمر ، وقد تجلَّت في أحسن صورها ، وأبهى حللها ، حين أقبل على استماع القرآن طواعيةً ورغبةً ، قصداً وإرادةً ، مجرداً روحه عن كل ما يعيقها عن الاستماع والانتفاع ، لينفذ القرآن من سمعه ليصل إلى قلبه فيهزَّه هزاً عنيفاً ، انعكس بكاءاً لعينيه ، وجرياناً لدموعه ، ثم إعلاناً لإسلامه . وهذا هو فعل القرآن فيمن يقرأه ، أو يستمع إليه ، وهو بمثل هذا الحال .

- هذا عمر قبل الإسلام . أما بعد الإسلام فيروى " أنه خرج يَعُسُّ المدينة ذات ليلة فمرَّ بدار رجلٍ من المسلمين ، فوافقه قائماً يصلي ، فوقف يستمع قراءته فقرأ (والطُّور) حتى بلغ ﴿ إن عذاب ربك لواقع . ماله من دافع ﴾ [٧٧].قال : قسمٌ وربِّ الكعبة حق ، فنزل عن حماره ، واستند إلى حائط فمكث ملياً ، ثم رجع إلى منزله ، فمكث شهراً ، يعوده الناس ، لا يدرون ما مرضه ؟(رضي الله عنه)" [٧٨].

فهل هذا التأثر ، وهذا التأثير يعود مصدره إلى شيء من البلاغة والفصاحة ودقة النظم والتشريع المحكم ، والعلوم الكونية ، والأخبار الغيبية ؟

إن الآيات التي قرأها عمر لا يوجد فيها شيء من ذلك. إذاً فما الذي أثر فيه ذلك التأثير الذي أسقطه من فوق حماره، وألزمه الفراش شهراً، حتى عاده الناس ؟ لا شيء سوى روح القرآن الإلهية، وأسرارها الربانية، فهي مصدر ذلك التأثير ، ومكمن سره .

- وهذا ، جبير بن مُطْعِمٍ بن عدي يسمع الآيات نفسها من النبي ﷺ ، وهو يقرأها في صلاة الفجر ، فلما انتهى إلى قوله : ﴿ إن عذاب ربك لواقع. ما له من دافع ﴾ قال جبير : " صدع قلبي فأسلمت خوفاً من نزول العذاب " وفي رواية " كاد قلبي أن يطير " [٧٩]. فهل بمقدور الفصاحة والبلاغة والنظم والتصوير وغيرها أن تفعل ذلك ؟ كلا .

وإنما هي (روح القرآن) التي تُصدِّع الجبال وتُخْشِعُها ، ناهيك عن تصديع القلوب وتطييرها .

وإذا تتبعنا قصص وصور تأثير القرآن والمتأثرين به والتي ما زالت تتوالى حتى اليوم ، وستستمر إلى ما شاء الله ، لطال بنا الحديث ، ولهذا أكتفي بما ذكرت على سبيل المثال لا الحصر .

رابعاً : تأثير القرآن في الأعاجم

ومن الحجج الدامغة ، والأدلة القاطعة على أن مصدر تأثير القرآن وسره، يكمن في روح القرآن : تأثيره في الأعاجم ، وتأثر الأعاجم به ، الذين لا يفهمون شيئاً من اللغة العربية ناهيك عن بلاغتها وفصاحتها وغيرهما من خصائص اللغة وأسرارها ، وهذا ثابت بالمشاهدات اليومية التي نراها بأنفسنا ، والتي يرويها لناإخواننا من أسقاع الدنيا ، فيحكون لنا كثيراً من قصص تأثير القرآن في كثيرٍ ممن استمعوا إليه ، وتأثروا به ، وسالت دموعهم على خدودهم بحرارة وغزارة ، وهم لا يفهمون حرفاً واحداً منه ، وعندما يُسألون عن سبب البكاء ؟ يقلون : وجدنا أنفسنا نبكي ، نريد البكاء فبكينا .

ومن يُصَلِّ في المسجد الحرام ، وبالذات في رمضان ، وخاصةً في العشر الأواخر منه حيث يؤمُّه المسلمون ، من أنحاء المعمورة بشتى أجناسهم ولغاتهم : من الهنود والباكستانيين والأوربيين والأفارقة وغيرهم ، يرَ كثيراً منهم يبكون وينتحبون بكاءً ، وهم واقفون خلف إمام الحرم يستمعون إلى قراءته ، ولا يفقهون منها شيئاً ، وإذا جلست إلى أحدهم وسألته عن سبب بكائه ؟ لا يزيد على أنه أحس بالبكاء فبكى.

وقد رأينا كثيراً من الأعاجم – شباباً وشيباً ، صغاراً وكباراً – يحفظون القرآن عن ظهر قلبٍ ، ويقرأونه كما أنزل ، ويَبكون ، ويُبكون ، وهم لا يفهمون معنى كلمةٍ واحدةٍ مما يقرأون إلا مترجمة بلغتهم، ولا يعلمون

كثيراً من الكلمات العربية ، وأحياناً لا يعلم بعضهم كلمةً واحدةً باللغة العربية ، وصلينا خلفهم .

ومن يتابع برنامج (قراءة الأعاجم) على قناة الفجر يزدَدْ تأكداً من صحة هذه الحقيقة تقول (عائشة برجت هوني) إمرأة إنجليزية : " لن أستطيع مهما حاولت أن أصف الذي تركه القرآن في قلبي ، فلم أكد أن أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدةً لخالق الكون ، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام " [٨٠]. وهذا ينفي أن يكون تأثير القرآن والتأثر به بسبب فصاحته وبلاغته وغيرها من جوانب الإعجاز المختلفة ، ويثبت أن مصدر تأثير القرآن يكمن في روحه ، وأن مصدر تأثر الإنسان يكمن في روحه أيضاً .

خامساً : **استمرار تأثير القرآن رغم انتهاء عصر الفصاحة** :

إن تأثير القرآن مازال يفعل فعله في النفوس والعقول والقلوب وتغيير الأحوال كأنه يوم نزل ، وسيضل كذلك إلى ما شاء الله ، رغم أن عصر الفصاحة والسليقة قد ولّى وأصبحنا في عصرٍ لم يعد أبناء العربية من أهل الفصاحة والبلاغة والتذوق الجمالي والدلالي ، كما لم يعودوا من أهل الإدراك لمعاني البلاغة ، ومقاصدها ، ولا من أهل التمييز بين ما هو فصيحٌ من الكلام ، وغير فصيحٍ ، وما هو قويٌّ منه ، وما هو ركيكٌ ، وأصبحوا يعيشون حالةً من الغربة اللغوية ، تتمثل في عجمية ألسنتهم ، فتراهم وهم يتكلمون كأنهم غرباء عنها ، وكأنها غريبة عنهم ، ومع ذلك مازال القرآن يؤثر فيهم ذلك التأثير الذي كان في أسلافهم، أرباب الفصاحة ، وأصحاب السليقة ، فماذا يعني هذا ؟

يعني أن تأثير القرآن ، والتأثر به لا يرجع إلى شيء من اللغة ، وما يتعلق بها ، وإنما يرجع إلى روحه ، فهي سرٌّ تأثيره الذي يكمن فيه ، ومصدره الذي يصدر عنه .

سادساً : **التردُّدُ بين التأثر وعدمه** :

أي تردد قارئ القرآن ، أو المستمع إليه بين التأثر به تارةً ، وعدم التأثر تارة أخرى ، وهذا أمرٌ معروف عند جميع المسلمين ، يلاحظه ويلمسه كل من يقرأ القرآن أو يستمع إليه ، فأحياناً يتأثر به ، فيخشع له قلبه ، وتبكي له عينه ، وأحياناً لا يتأثر به ، فلا القلب يخشع ، ولا العين تدمع .

فإذا كانت اللغة والفصاحة والبلاغة وسواها هي جهة ومصدر تاثير القرآن الذي يؤثر في الإنسان ، لكان تأثيره فيه مطّرداً في كل الأحيان، فدل ذلك على أن جهة تأثير القرآن ليست هي الفصاحة والبلاغة ، ودقة النظم ، وحسن التصوير ، وغيرها من وجوه الإعجاز المختلفة ، وإنما هي روحه التي تلتقي روح الإنسان فيحدث ذلك التاثير والتأثر ، أما عندما تكون روح الإنسان مشغولةً بالعوائق ، والعلائق ، فإن القرآن لا يؤثر فيه ولا هو يتأثر بالقرآن .

وهكذا يكون قارئ القرآن ، أو المستمع إليه في حالة ترددٍ بين التأثر عند تجرد روحه ، وعدمه عند انشغالها.

سابعاً : تأثر البعض دون الاخر

من المعلوم أنه قد استمع إلى القرآن وقت نزوله كثيرٌ من الكفار ، فأثر في بعضهم بنوعٍ من أنواع التأثير ، ولم يؤثر في البعض الاخر مع أن الجميع – تقريباً – في الفصاحة والبلاغة والتذوق والفهم والإدراك سواء!! .

ومن المشاهد أننا أحياناً نقرأ القرآن ، أو نستمع إليه بصورة جماعية ، فيتأثر بعضنا دون البعض الاخر . ولو كانت الفصاحة والبلاغة ، وحسن التصوير ، ودقة التعبير ، وسواها هي مصدر تأثير القرآن الذي يؤثر في الإنسان ، لكان تأثيره مطّرداً في كل الأحيان ، وفي كل إنسان ، ولتأثر جميع الكفار الذين استمعوا للقران وقت نزوله ، ولتأثر كذلك جميع الذين استمعوا للقران بصورة جماعية ، فدل ذلك على أن تأثير القرآن لا يكمن في شيء مما ذكر ، وإنما يكمن في روحه حين تلتقي روح الإنسان ، فتتعاطفان وتتجاذبان ويحدث التاثير والتأثر .

ثامناً : تأثير الخطيب غير الفصيح :

إن الكلمة ليست هي التي تؤثر في الإنسان ، وإنما هي الروح التي تصاحب الكلمة عند خروجها ، فكم من خطيبٍ بليغ فصيح ، مفوَّه لا يهز شعرة واحدة من رأس مستمع من المستمعين ، وإن تملكهم الإعجاب والانبهار من فصاحته وبلاغته وقوة أدائه ، وكم من خطيبٍ لا يتصف بكثير من تلك الصفات ، وقد لا يتصف بشيء منها ، ولكنه يهز القلوب، ويبكي العيون ، ويحرك المشاعر ، ويؤثر في مستمعيه تأثيراً بليغاً، فما السر في ذلك ؟ إنها الروح التي تنبثق الكلمة منها ، وتصدر عنها ، وما يخرج من القلب يصل إلى القلب وإن كانت الكلمة غير فصيحة ، والعبارة غير بليغة ، واللسان لا يكاد يبين ، وهذا يدل على أن التاثير ، والتأثر يكمنان في (الروح) ، روح الكلمة ، وروح الإنسان .

والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل . وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ وعلى اله وصحبه وسلَّم .

خلاصة البحث :-بهدف بيان (حقيقة تأثير القرآن ومصدره) وإثبات أن روح القرآن هي مصدر تأثير القرآن ، وأن روح الإنسان هي مصدر تأثره ، وأن هذا التأثير والتأثر لا يتم إلا عند التقاء الروحين ، سرت عبر المنهج الوصفي والتحليلي – لأراء العلماء والباحثين السابقين التي عرضت لها ، والمتعلقة بموضوع البحث ، وللنصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم ، وللقاعدة النحوية ، والصرفية ، وكل ما يحتاج الاستدلال به إلى تحليل مضمونه ، لبيان جهة الدلالة فيه ، ووجه الاستدلال به – لتحقيق هذا الهدف من خلال إثبات أن التأثير صفةٌ ملازمةٌ للقران لا تنفك عنه بحالٍ من الأحوال وبيان منهج التأثير والتأثر الذي اشترط القرآن التزامه لتحقيق تأثيره والتأثر به ، وكون هذا التأثير عامٌّ وكوني يتجاوز الإنس والجن إلى غيرهم من المخلوقات كالجماد والحيوان ، وله مظاهر متعددةٌ : كالهداية والبكاء والخوف والشفاء، ثم استعراض بعض آراء العلماء، والمتأثرين بالقرآن من الإنس والجن في فهم هذا التأثير وتفسيره، وبيان الوحدة الروحية للقران والإنسان ممثلةً في

وحدة مصدرهما ، فإن كلتا الروحين من عند الله، وكيفية وقوع عملية التأثير والتأثر، ثم عرض الأدلة النقلية والعقلية التي تؤكد تلك الحقيقة .

الهوامـــش

(١) سورة الإسراء اية : ٩

(٢) سورة الحشر اية :٢١

(٣) سورة الرعد اية : ٣٠

(٤) سورة يونس : اية ٥٧

(٥) ذكره ابن ماجة في سننه بلفظ (فإذا قرأتموه فابكوا) برقم ٢٥٠ ، ص١٠٠ وذكره بسيوني ج٣ ، ص٤٥٨، وذكره البيهقي في سننه برقم ٢١٠٥٨، ج١٠ ص ٣٩١ ، وذكره المتقي الهندي في (كنز العمال في سنن الأقوال ، والأفعال) برقم ٢٧٩٣ ج١ ص٣٠٣ بلفظ (فاقرأوه بحزن)

(٦) ذكره المتقي الهندي (في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) برقم (٢٧٩١) ١/١ ص ٣٠٣ ، والحافظ العراقي في تخريجاته لأحاديث (إحياء علوم الدين) من حديث سعد بن أبي وقاص بسند جيد - إحياء علوم الدين ، للغزالي . ٣/١ . ص٤ . ٥ .

(٧) إحياء علوم الدين للغزالي ، ٣/١ ص ٤ . ٥ .

(٨) سورة الأحقاف ، اية : ٢٩ - ٣١ .

(٩) سورة الجن ، اية : ١ - ٣ .

(١٠) سورة الحشر ، اية : ٢١ .

(١١) سورة الرعد ، اية : ٣١ .

(١٢) تفسير ابن كثير ، ١٣/٢ ، ص٥١٦ .

(١٣) سورة البقرة ، اية : ٧٥ .

(١٤) أخرجه البخاري من حديث جابر ، في باب (علامات النبوة في الإسلام) ، ٤/٢ ، ص١٧٣.

(١٥) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٤١، ص٣٦٢،وتفسير ابن كثير،٤/ ٢٩،ص٤٣٦،والطبري في تفسيره ٢٩/١٦، ص١٥٢ .

(١٦) سورة الإسراء ، اية : ٩ .

(١٧) سورة البقرة ، اية : ١ - ٢ .

(١٨) سورة إبراهيم ، اية : ١ .

(١٩) سورة مريم ، اية : ٥٨ .

(٢٠) سورة الإسراء ، اية : ١٠٧ - ١٠٩ .

(٢١) سورة المائدة ، اية : ٨٢ - ٨٣ .

(٢٢) سورة الأنفال ، اية : ٢ .

(٢٣) سورة الحج ، اية : ٣٥ .

(٢٤) سورة الزمر ، اية : ٢٣ .
(٢٥) سورة يونس ، اية : ٥٧ .
(٢٦) روح المعاني ، للألوسي . ١١/٦ – ص١٣٩ .
(٢٧) سورة فصلت ، اية : ٤٤ .
(٢٨) سورة الإسراء ، اية : ٨٢ .
(٢٩) روح المعاني ، للألوسي – ١٥/٨ ، ص١٤٥ .
(٣٠) سورة الجن ، اية : ١ – ٢
(٣١) سورة الأحقاف ، اية : ٣٠ .
(٣٢) سورة المدثر ، اية ٢٤ .
(٣٣) سيرة ابن هشام. ج١ ، ص٢٧٠ ، ودلائل الإعجاز للجرجاني . ص٢٩٧ ، والاتقان للسيوطي . ج٢ ص١١٧
(٣٤) بيان إعاجز القرآن ، ص٣٦ .
(٣٥) سورة الشورى ، اية : ٥٢ .
(٣٦) دائرة معارف القرن العشرين . مادة (إقرأ) ج٧ ، ص٦٧٧ .
(٣٧) سيرة ابن هشام ، ج١ . ص٢٧٠ .
(٣٨) سيرة ابن هشام ، ج١ ، ص٢٩٣ ، وسيرة ابن كثير ، ج١ ، ٥٠١- ٥٠٥ .
(٣٩) أضواء على إعجاز القرآن الكريم ، ص٦٦ – ٦٧ .
(٤٠) ينظر، حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن. د.علي البدري، ص٨٣-٨٧، ودلائل الإعجاز للجرجاني، ص٨٧.
(٤١) سورة المائدة ، اية : ٨٢ – ٨٣ .
(٤٢) سورة الإسراء ، اية : ١٠٧ – ١٠٩ .
(٤٣) سورة الشورى ، اية : ٥٢ .
(٤٤) سورة غافر ، اية : ١٥ .
(٤٥) سورة النحل ، اية : ٢ .
(٤٦) روح المعاني للألوسي ، ١٤/٧، ص٩٣ .
(٤٧) فتح القدير ، للشوكاني – ٢٣/٤ ، ص٤٨٥ .
(٤٨) الإعجاز في مفهوم جديد ، ج٢ ، ص٢٥٢ ، وعلم الإعجاز القرآني بين الفن والتاريخ ، للدكتور خليل رجب عمران الكبيسي ، ص٢٢٧.
(٤٩) في ظلال القرآن ، ٢٧/٦ ، ص٣٣٩٩ .
(٥٠) سورة الحجر ، اية : ٢٩ .
(٥١) سورة ص ، اية : ٧٢ .
(٥٢) سورة السجدة ، اية : ٩ .
(٥٣) في ظلال القرآن – ١٤/٤ ، ص٢١٣٨ – ٢١٣٩ .
(٥٤) تفسير التحرير ، والتنوير – ٢٠/١٠ – ص٢١٧ .
(٥٥) نعم الله في خلق الإنسان كما يصوره القرآن ، ص٥٩ .

(٥٦) الإيمان والحياة ، ص٧٠ .
(٥٧) القرآن وعلم النفس ، ص٨٦ .
(٥٨) سرة الشورى ، اية : ٥٢ .
(٥٩) دائرة معارف القرن العشرين - مادة (إقرأ) ج٧ ، ص٦٧٧ .
(٦٠) مقدمة تحقيقة لكتاب (أسرار ترتيب القرآن) للسيوطي ، ص٩ .
(٦١) الإعجاز في مفهوم جديد ، ج٢ ، ص٢٥٢ ، وعلم الإعجاز القرآني بين الفن والتاريخ . د. خليل رجب عمران الكبيسي ، ص٢٢٧.
(٦٢) في ظلال القرآن . ٢٧/٦ ، ص٣٣٩٩ .
(٦٣) الفوائد ، ص٥ .
(٦٤) القرآن وعلم النفس . ص٨٦ .
(٦٥) الإيمان والحياة ، ص٧٠ .
(٦٦) سورة الأحقاف ، اية : ٢٩ - ٣١ .
(٦٧) سورة الجن ، اية : ١ - ٣ .
(٦٨) سورة الحشر ، اية : ٢١ .
(٦٩) سورة الأنفال ، أية : ٢ .
(٧٠) سورة المائدة ، اية : ٨٢ - ٨٣ .
(٧١) سورة الإسراء ، اية : ١٠٧ - ١٠٩ .
(٧٢) صحيح البخاري (باب فاتحة الكتاب) رقم (٤٧٢٠) ج٦، ص١٠٣ ،وصحيح مسلم (باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن) برقم(٢٢٠١) ج٤، ص١٣٧٨ ، وزاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم الجوزي ، ٣/٢ ، ص١٢١ .
(٧٣) سورة النحل ، اية : ٩٠ .
(٧٤) السيرة النبوية لابن هشام ، ج١ ، ص٢٧٠ ، وتفسير ابن كثير ٢٩/٤ ، ص٤٤٣ , والتصوير الفني في القرآن ، لسيد قطب ، ص١٣ .
(٧٥) تقديم الأستاذ / عبدالقادر أحمد عطا ، لكتاب (البرهان في توجيه متشابه القرآن) للكرماني ، ص١٠ .
(٧٦) سيرة ابن هشام ، ج١ ، ص٣٤٣ - ٣٤٨ ، وسيرة ابن كثير ، ج٢ ، ص٣٣ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، ج٤ ، ص٢٨٠ ، وإعجاز القرآن للرافعي ، ص٢٤١ .
(٧٧) سورة الطور ، اية : ١ - ٨ .
(٧٨) تفسير ابن كثير ، ٢٧/٤ ، ص٢٤١ .
(٧٩) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ن لابن حجر العسقلاني ، ج٧ ، ص٢٤٩ ، والاتقان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص١٢٣ ، والعقائد الإسلامية ، للشيخ نديم الجسر ، ص٦٩ .
(٨٠) منهج تدبر القرآن الكريم ، أ.د. حكمت بن بشير ياسين ، ص٦٣ .

المصادر والمراجع :-

١- أحمد بن الحسين البيهقي : دلائل النبوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ط٢ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
٢- أحمد بن الحسين البيهقي : السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، تحقيق ، عبد القادر عطا .
٣- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، دار الفكر . بيروت ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٤- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٣٢٨هـ - ١٩٠٨م .
٥- أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي : بيان إعجاز القرآن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، دار المعارف ، القاهرة . ١٩٦٨م ، نشر ، ودراسة ، محمد أحمد خلف ومحمد زغلول سلام ، الدكتور.
٦- أحمد بن محمد بن إسحاق ، المعروف (بابن السني) : عمل اليوم والليلة . دار القبلة للثقافة الإسلامية. جدة ، ومؤسسة علوم القرآن . بيروت ، بدون تاريخ.
٧- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني : مسند الإمام أحمد ، مؤسسة الرسالة . بيروت . ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م
٨- أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة ، مطبعة محمد مطر . مصر ، ١٣٣٥هـ - ١٩٧١م .
٩- إسماعيل بن عمر بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر . بيروت . ط١ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
١٠- إسماعيل بن عمر بن كثير :السيرة النبوية ، دار المعرفة . بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، تحقيق مصطفى عبد الواحد .
١١- حكمت بن بشير ياسين : منهج تدبر القرآن ، دار الحضارة للنشر والتوزيع . الرياض ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
١٢- خليل رجب عمران الكبيسي ، الدكتور : علم الإعجاز القرآني بين الفن والتاريخ . مركز عبادي للدراسات ، والنشر ، الجمهورية اليمنية ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٣- سيد قطب : في ظلال القان ، دار الشروق . القاهرة . ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
١٤- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، بيروت . ط٧ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
١٥- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : أسرار ترتيب القرآن ، دار الاعتصام . القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
١٦- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، المطبعة الأزهرية . القاهرة ط٢، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م .
١٧- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
١٨- عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن الجرجاني : دلائل الإعجاز ، مطبعة المنارة . مصر ، ١٣٣٠هـ - ١٩١١م .

١٩- عبدالملك بن هشام المعافري : السيرة النبوية ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، بدون تاريخ
٢٠- عبدالوهاب خلاف : علم أصول الفقه ، دار القلم الكويت . ط١٢ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٢١- عزت محمد حسن : نعم الله في خلق الإنسان كما يصوره القرآن ، مكتبة المعارف . الرياض ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
٢٢- عكرمة سعيد صبري : أضواء على إعجاز القرآن الكريم ، مركز الأهرام . القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٢٣- علي بن أبي بكر الهيثمي : مجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٢٤- علي البدري ، الدكتور : حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن ، دار الطباعة المحمدية . القاهرة ، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٢٥- علي المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال ، والأفعال ، دار الكتب العلمية .بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م . تحقيق ، محمود عمر الدمياطي.
٢٦- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير العباد ، دار الكتب العربي . بيروت ، بدون تاريخ .
٢٧- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ، وعلم البيان ، دار الكتب العلمية . بيروت ، بدون تاريخ .
٢٨- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : الفوائد ، دار الصفا . القاهرة ، ط٤ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٢٩- محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (المشهور بتفسير القرطبي) دار الكتب المصرية . ط٢ ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م .
٣٠- محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، دار الفكر . بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٣١- محمد بن جرير الطبري : تاريخ الأمم ، والملوك ، المعروف (بتاريخ الطبري) ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٣٢- محمد حسين هيكل : حياة محمد ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٦ ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.
٣٣- محمد بن حمزه بن نصر الكرماني : البرهان في توجيه متشابه القرآن ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٣٤- محمد الخضري بك نور اليقين ، في سيرة سيد المرسلين ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ، ط١٩، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
٣٥- محمد الخضري : حاشية الحضري علي ابن عقيل ، دار الفكر . بيروت ، بدون تاريخ .
٣٦- محمد السعيد بسيوني زغلول : موسعة أطراف الحديث الشريف ، دار الكتبة العلمية . بيروت .
٣٧- محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، سحنون للتوزيع ، والنشر . تونس ، بدون تايخ.

٣٨- محمد بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن ، دار المعارف . مصر ، ط٣ ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
٣٩- محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار إحياء الكتب العربية . مصر ، ط٢، بدون تاريخ .
٤٠- محمد بن عبدالله ، المعروف ، بالحاكم : المستدرك للحكام ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع . ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٧٢م .
٤١- محمد بن عبدالله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة . بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
٤٢- محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير ، دار الفكر . بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٤٣- محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ، مطابع دائرة معارف القرن العشرين . ١٩٦٧م .
٤٤- محمد بن محمد بن أحمد الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار الفكر . بيروت ، ط١ ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
٤٥- محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور : لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .
٤٦- محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه: سنن ابن ماجه، دار المعرفة . بيروت ، ط١ ،١٤١٦هـ - ١٩٩٦م
٤٧- محمد بن يوسف الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، مطابع الأهرام التجارية ، مصر ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م تحقيق مصطفى عبد الواحد ، الدكتور .
٤٨- محمود بن عبدالله بن محمود الألوسي : روح المعاني ، دار الفكر . بيروت ، بدون تاريخ .
٤٩- مصطفى صادق الرفاعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مطبعة الاستقامة . القاهرة ، ط٦ ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
٥٠- مفتاح محمد عبد العزيز : الدكتور : القرآن ، وعلم النفس ، جامعة قار يونس ، بنغازي ، ١٩٩٧م .
٥١- نديم الملاح : العقائد الإسلامية ، دار الأيتام الإسلامية . القدس ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
٥٢- يحيى بن شرف النووي : الأذكار ، دار الهدى . الرياض ، ط٧ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق ، عبد القادر الأرناؤوط .
٥٣- يوسف القرضاوي ، الدكتور : الإيمان ، والحياة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٥هـ - ١٩٨٤م.
٥٤- يوسف النبهاني : حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسيلين ، الناشر حسن جعنا . بيروت ، ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م .